

كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ.. وَلَمْ تَرِيدُوا

(Arabic – I have longed to gather your children but you were not willing!)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ.. وَلَمْ تَرِيدُوا

ومن إنجيل متى الأصحاح الثالث والعشرين نقرأ العدد السابع والثلاثين:

"يَا أُورُشَلِيمُ. يَا أُورُشَلِيمُ. يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا. كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ. كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةَ فَرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تَرِيدُوا".^١

لقد أتاح الله لكلِّ فردٍ فرصةً هي بالحقِّ ذبيبةٌ مُحَالٌ تَكَرَّرُهَا. وَهِيَ فَُرْصَةٌ الْحَيَاةِ. كَثِيرُونَ أَضَاعُوا فَُرْصَةَ الْعُمُرِ مِنْهُمْ وَقَدْ أَتَيْتْ لَهُمْ. فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَتَغَافَلَ الْمَرءُ عَنِ اسْتِغْلَالِ الْفُرْصَةِ الذَّهَبِيَّةِ إِذَا أَتَيْتْ. وَتَمْضِي دُونَ الْاسْتِفَادَةِ مِنْهَا إِذَا سَنَحَتْ. وَفَاتَ الْمَرءُ إِذْ رَأَى أَنَّهَا فَُرْصَةٌ ذَهَبِيَّةٌ. فَرُبَّمَا كَانَتْ كَفِيلَةً بِنَقْلِهِ مِنْ حَالٍ سَيِّئٍ إِلَى حَالٍ أَفْضَلٍ. وَلَنْ يَنْفَعَهُ النَّدْمُ بَعْدَ الْعَدَمِ كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ الذَّارِجُ. فَلَيْسَتْ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ كُلِّ فَُرْصَةٍ تَوَاتَيْنَا تَتَكَرَّرُ. لِذَلِكَ نَدْعُوهَا بِالْفُرْصَةِ الذَّهَبِيَّةِ تِلْكَ الَّتِي مِنَ الْمَحَالِّ تَكَرَّرُهَا. وَقَدْ تَضَيَّعَ بِنَتَاغَلُنَا عَنْهَا أَوْ لِنَبَاطُونَا فِي انْتِهَازِهَا أَوْ لِأَنَّهَا أَهْمَلْنَا اقْتِنَاصَهَا عِنْدَ حُلُولِهَا. أَوْ انشغلنا بأُمُورٍ أُخْرَى عَاطِلَةٌ بِاطِلَّةٍ حَسْبِنَاهَا تَعْنَى عَنْهَا.^٢

لسنا نحيا على الأرض مرتين. والبديهي أن أمهاتنا ولدتنا لنحيا مرة ولن نعود إليها لنستمتع بما أنجزنا إن فاتنا الاستمتاع به. أو لنصلح ما أفسدنا إن لم نسمح لنا الأيَّامُ لنصلحهُ في حياتنا. إن الله لم يهبنا تلك الحياة لنحياها جزافاً أو لنقضى أعمارنا كيفما اتفق. ولكن الله وهبنا إياها لغرضٍ أُسْمِيَ. كَثِيرُونَ لَمْ يُصَيِّبُوا الْهَدَفَ الْحَقِيقِيَّ وَسَلَكُوا طَرِيقًا غَيْرَ سَوِيٍّ. وَبِمَحْضِ اخْتِيَارِهِمْ أَفْسَدُوا حَيَاتَهُمْ مَعَ أَنَّهَا فَُرْصَةٌ ذَهَبِيَّةٌ لَنْ تَتَكَرَّرَ وَلَيْسَ مَا يُعْوَضُنَا إِذَا فَقَدْنَاهَا. إِنَّ الْقُوَى الْمُضَادَّةَ لَا يُمَكِّنُ إِنْكَارَ وُجُودِهَا وَهِيَ قُوَى الشَّرِّ الَّتِي تَسَيِّطِرُ عَلَى عَالَمِنَا. وَهَذِهِ خَدَعَتْهُمْ فَانْسَاقُوا إِلَيْهَا. وَمِنْ شَأْنِ تِلْكَ الْقُوَى الْمُضَادَّةَ إِبْعَادُ الْإِنْسَانِ عَنِ الْغَرَضِ الْأُسْمِيِّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَلَقَهُ اللهُ.^٣

قَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ: هَلْ هُنَاكَ مَنْ يُعْطِلُ إِرَادَةَ اللهِ وَمَسْبِيئُهُ مِنْ إِيْتَامِهَا عَلَى الْأَرْضِ فِي حَيَاتِنَا كَبِشْرٍ؟. نَجِيبُ بِنَعْمٍ. وَهُوَ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ إِذَا اخْتَارَ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ عَدُوُّ الْخَيْرِ. لِأَنَّ اللهُ خَلَقَنَا مُعْطِيًا إِيَّانَا إِرَادَةَ حُرَّةَ لِنُخْتَارَ الْهَدَفَ وَالطَّرِيقَ. وَرُبَّمَا يَقُولُ قَائِلٌ: أَوْلَيْسَ الْإِنْسَانُ مُسَيَّرًا لَا مُخْتِيرًا؟. نَجِيبُ: إِنَّهُ مُسَيَّرٌ بِمَعْنَى مُحَدَّدٍ. فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ نَحْنُ نَعِيشُ عَلَى ذَلِكَ الْكُوكَبِ وَلسنا مُخْتِيرِينَ لِنُخْتَارَ كُوكَبًا أُخَرَ لِنُقْضِي حَيَاتِنَا بِطَوْلِهَا عَلَيْهِ.^٤

كُلُّ مِثْلٍ مُسَيَّرٌ بِمَعْنَى أَنْ كُلُّ مِثْلٍ يَعْيشُ دَاخِلَ ذَلِكَ الْجَسَدِ الَّذِي وَهَبْنَا خَالِقَنَا إِيَّاهُ. وَلَيْسَ فِينَا مَنْ هُوَ مُخْتِيرٌ لِاخْتِيَارِ أُخَرَ لِحَيَاةٍ فِيهِ. كُلُّ مِثْلٍ مُسَيَّرٌ بِإِمْكَانِيَّاتٍ وَطَاقَاتٍ وَمَوَاهِبٍ خَاصَّةٍ. وَلَكِنْ كُلُّ مِثْلٍ مُخْتِيرٌ لِيَسْتَحْدِمَ هَذِهِ كُلَّهَا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَخْتَارُهَا لِنَفْسِهِ حَسَبَ إِرَادَتِهِ. وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى مَا جَاءَ بِانْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِينَ وَالْعِشْرِينَ الْعِدَّةِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ نَجِدُ قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ مُخَاطِبًا شَعْبَ أُورُشَلِيمَ: "يَا أُورُشَلِيمُ. يَا أُورُشَلِيمُ. يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا. كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ. كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةَ فَرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تَرِيدُوا". أَرَادَ اللهُ لَهُمْ شَيْئًا أَفْضَلَ لِإِسْعَادِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا. لَقَدْ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ هَدَفًا أُخَرَ وَطَرِيقًا تَخْتَلِفُ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِمْ حَيَاتَهُمْ.^٥

لَقَدْ افْتَقَدَ اللهُ أُورُشَلِيمَ وَهِيَ فِي شَرِّهَا وَتَمَرَّدُهَا لِصَلَحِ حَالِهَا مُتَغَاضِيًا عَمَّا اقْتَرَفَتْهُ. لِتَعَامَلِ مَعَهَا بِمَحَبَّةٍ إِلَهِيَّةٍ عَجِيبَةٍ مُتَسَامِحًا غَافِرًا لَهَا تَمَرَّدُهَا عَلَيْهِ وَمَاضِيَهَا الْأَثِيمَ. جَاءَ إِلَيْهَا وَهِيَ بَعْدُ فِي خَطَايَاهَا وَأَتَامِهَا وَتَعَدِّيَاتِهَا

^١ إنجيل متى ٢٣ : ٣٧ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر المزمير ٣٦ : ٩

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢ : ١٠

^٤ سفر التثنية ١١ : ٢٦ - ٢٨

^٥ إنجيل متى ٢٣ : ٣٧

ولكنها للأسف لم تعرف زمان افتقادها. لقد جاء بانجيل لوقا قوله عن يسوع المسيح: "وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها". وقال الرب عنها: "إنك لو علمت أنت أيضا حتى في يومك هذا ما هو سلامك ولكن الآن قد أخفى عن عينيك. لأنك لم تعرفي زمان افتقادك". وجاء بسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي قول الله مخاطبا الكنيسة التي في ثياتيرا: "وأعطيتها زمانا لكي تتوب ولم تتب". أعطها الرب فرصة ذهبية كي تتوب ولكن للأسف أضاعتها.^١

لا تستهن برسالة من الله يحذرك فيها. أو يوجه إليك نصحا كي تعود إليه مغيرا مسارك في البعد عن الله ملتصقا بالأشراق. ليغفر لك ويقبلك في ملكوته. متغاضبا عن أزمته جهلك وعدم معرفتك. ما أروع قول بولس الرسول عن نفسه: "ولم أكن معايدا الرؤيا السماوية". أحي: إن رفضت رسالة الله لك فأنت الخاسر. إنها فرصة ذهبية لتتوب وتغير مسارك. إنها إرادة الله أن تتوب وترجع إليه فهل تريد؟ لقد جاء بسفر تلميحا بالعهد القديم مثل رائع لشعب لبي دعوة الله له وتاب عن شره. لقد طلبوا من عزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل. ففتح عزرا السفر وقرأ منه وفسر المعنى ومعاه آخرون وأفهموا الشعب المكتوب.^٢

"بكي جميع الشعب حين سمعوا كلام الشريعة وتفسيره من عزرا الكاتب وتحميا وآخريين. وحمدوا الرب وسجدوا له معترفين بخطاياهم وذنوب آباءهم. وصرخوا بصوت عظيم إلى الرب إلههم ونالوا سلاما عجبيا من الله المحب الصقح العاقر". ويسجل الوحي الإلهي بسفر يوثان أن أهل نينوى الذين اغضبوا الله بشرهم نادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم وصرخوا إلى الله بشدة مع ملكهم الذي قام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغلى بمسح. ورجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة. فلما رأى الله إيمانهم وتوبتهم الصادقة وأعمالهم أنهم رجعوا إليه. تقبل توبتهم وصفح عن إثمهم ولم يهلك مدينتهم. التي كان شرها وإثمها طافحين إلى السطح".^٣

وفي رسالة بولس الرسول إلى فلبيون قصة أنسيمس الذي كان يعمل في بيت فلبيون. استحوذ ذلك العبد على مال من بيت سيده في كولوسي وهرب إلى روما وهناك تقابل مع بولس الرسول في سجنه واعترف له بذنبه منكسر القلب ناديا. فقدم له بولس رسالة التوبة والخلص فأمن أنسيمس بالرب يسوع المخلص ثم أعاده بولس إلى فلبيون برسالة كتب فيها يقول: "أطلب إليك لأجل أنسيمس الذي ولدته في قيودي الذي كان قبلا غير نافع لك ولكنها الآن نافع لك ولي. لأنه ربما لأجل هذا افترق عنك إلى ساعة لكي يكون لك إلى الأبد. لا كعبد في ما بعد بل أفضل من عبد أبا محبوبا ولاسيما إلى فكم بالحرى إليك في الجسد والرب جميعا فإن كنت تحسبني شريكا فأقبله نظيري ثم إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين فأحسب ذلك على أنا بولس كتبت بيدي أنا أوفي".^٤

ليس من فرصة ذهبية تواتي الإنسان تعادل قبول خلاص الرب يسوع. فلقد بدل دمه على الصليب كدفية لكي لا نهلك نحن الخطاة بل لتكون لنا الحياة الأبدية. لقد وهبنا الله حياة على الأرض لا لتكنز أموالا في بئوك العالم. أو لنحقق منصبا بارزا في المجتمع. أو لتتأذى باكبر قسط من شهوات وملذات العالم الفاني. فإن أمثال هؤلاء المخدوعين من إبليس يفقدون أعظم فرصة ذهبية لن تعوض. فمن عاش للرب في حياته ضمن حياة إلى الأبد في النعيم الأبدى. ومن عاش لملذات العالم غير مكرث بأبديته نال جزاءه تعاسة أبدية في الجحيم المعد لإبليس وملآكتيه. "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه". لقد ذكر متى البشير في إنجيله الأصحاح الحادي عشر قول الرب يسوع: "إن ملكوت السموات يُعصَّب والغاصبون يخطفونه". إنها فرصة ذهبية لنلبي دعوة الله المحب. إذ مكتوب: "وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة". لنأت إليه الآن.^٥

ليتك أحي تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرك يا من افتقدتني أنا الخاطئ. ليتقدي من الهلاك الأبدى. وتهبني الحياة الأبدية. أشكرك يا من شملتني بحب هو أسمي الحب وأعظمه. أرفع صلواتي في اسم يسوع الحبيب. مؤمنا ومتكلا على صديق وعدك. يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجها خارجا.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ انجيل لوقا ١٩: ٤١ - ٤٤ ، رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢: ٢١

^٢ سفر أعمال الرسل ٢٦: ١٩ ، سفر نمحيا ٨: ١ - ٨

^٣ سفر نمحيا ٨: ٩ ، سفر يونان ٣: ٣ - ١٠

^٤ رسالة بولس الرسول إلى فلبيون ١٠ - ٢١

^٥ انجيل متى ١٦: ٢٦ & ١٢: ٢٥ & ٤١ ، انجيل مرقس ٨: ٣٦ ، انجيل لوقا ٩: ٢٥ ، الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٧